الحَدِيثُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» [رَوَاهُ البُخَارِيُّ][(١)].

وَلِيُّ اللَّهِ: هُوَ المُؤْمِنُ التَّقِيُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونُس: ٦٢]، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يُونُس: ٦٣]، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ: هُمُ المُؤْمِنُونَ المُتَّقُونَ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ وَلِيٌّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[(٢)]، وَوَلَايَةُ اللَّهِ هِيَ مَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ، وَنُصْرَتُهُ إِيَّاهُ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُنَاصِرُهُ وَيُعِينُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَيُحِبُّهُ، فَالوَلَايَة بِفَتْحِ الوَاوِ: المَحَبَّةُ وَالنُّصْرَةُ وَالتَّأْيِيدُ[(٣)]، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧]، وَيَقُولُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٨)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٤)، وجامع العلوم والحكم (ص٣٦١)، وفتح الباري (١١/ ٣٤٢)، وشرح الأربعين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص٣٧٧).

(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٩)، والمصباح المنير (٢/ ٦٧٢)، ومختار الصحاح (ص٣٠٦).

ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المَائِدَة: ٥٥]، فَالوَلَايَةُ لَيْسَتْ ادِّعَاءً، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قِيلَ: إِنَّهُ وَلِيٌّ يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّـهِ، إِنَّمَا قَدْ يَكُونُ وَلِيًّا لِلشَّيْطَانِ، فَالذِينَ يُقَالُ: إِنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ. وَهُمْ غَيْرُ أَتْقِيَاءٍ وَغَيْرُ مُؤْمِنِينَ؛ مِنَ السَّحَرَةِ وَالكَهَنَةِ وَالكَفَرَةِ، والذِينَ يُقَالُ: لَهُمْ كَرَامَاتٌ وَلَهُمْ خَوَارِقُ، وَهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَلَا يَخَافُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ عَلَيْهِمْ تَكَالِيفُ؛ لِأَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّـهِ، لِأَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى اللَّـهِ، وَلَيْسُوا بِحَاجَةٍ إِلَى الأَعْمَالِ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّـهِ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلشَّيَاطِينِ وَالعِيَاذُ بِاللَّـهِ، هَذِهِ مُغَالَطَةٌ وَمُحَادَّةٌ لِلَّـهِ أَنْ يُجْعَلَ أَعْدَاءُ اللَّـهِ أَوْلِيَاءَ لَهُ.

فَهَذَا فَاصِلٌ فِي بَيَانِ وَلِيِّ اللَّـهِ: أَنَّهُ هُوَ الذِي يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَيَتَّقِيهِ، وَلَا يَرْضَى أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّـهِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّـهِ، أَمَّا الذِي يَأْمُرُ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَالتَّرَفُّعِ، فَهَذَا وَلِيٌّ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧]، فَهُنَاكَ وَلِيٌّ لِلَّـهِ، وَوَلِيٌّ لِلشَّيْطَانِ، فَمَا كُلُّ مَنْ قِيلَ: إِنَّهُ وَلِيٌّ، وَبُنِيَ عَلَى قَبْرِهِ ضَرِيحٌ وَقُبَّةٌ وَزُخْرِفَ قَبْرُهُ يَكُونُ وَلِيًّا لِلَّـهِ، قَدْ يَكُونُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّـهِ، وَحَتَّى وَلِيِّ اللَّـهِ الصَّحِيحِ لَا يُعْبَدُ وَلَا يُدْعَى وَلَا يُسْتَغَاثُ بِهِ، وَلَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَحْنُ لَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّـهِ، وَلَا نَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَكِنْ نَحْنُ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخَافُ عَلَى المُسِيءِ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ لَهُ اللهُ، أَوْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهُ وَلِيٌّ لِلَّـهِ، أَوْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّـهِ، فَهَذَا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالدَّلِيلِ.

قَوْلُهُ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**» أَيْ: مَنْ آذَى وَلِيَّ اللَّـهِ وَعَادَاهُ وَآذَاهُ

وَتَعَرَّضَ لَهُ بِالسُّوءِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ لِوَلِيِّهِ، قَالَ: «فَقَدْ آذَنْتُهُ» آذَنْتُهُ: يَعْنِي أَعْلَمْتُهُ، «بِالْحَرْبِ» أَيْ: أَنَّهُ مُحَارِبٌ لِلَّهِ، وَهَلْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَارِبَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ هُوَ القَوِيُّ الذِي لَا يُغَالَبُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُحَارِبَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفَتْح: ٧]، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ الخَفِيَّةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ: مِنَ الأَمْرَاضِ وَالأَسْقَامِ، وَمِنْ الكَفَرَةِ وَالشَّيَاطِينِ، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ حَتَّى البَعُوضَ وَالذُّبَابَ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِهِ مَا يُؤْذِيهِ وَيُقْلِقُهُ، فَمَنْ عَادَى اللهَ وَمَنْ حَارَبَهُ فَإِنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ، فَاللهُ يَنْتَقِمُ لِأَوْلِيَائِهِ، فَلَا تُؤْذِ عِبَادَ اللَّهِ المؤْمِنِينَ، لَا بِالقَوْلِ وَلَا بِالعَمَلِ، احْذَرْ؛ لِأَنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عِمْرَان: ٤]، فَلَا تُؤْذِهِمْ بِقَوْلٍ بِغِيْبَةٍ وَلَا بِنَمِيمَةٍ وَلَا بِمَسَبَّةٍ، وَلَا تُؤْذِهِمْ بِالفِعْلِ كَأَنْ تَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ، بَلْ تجِبُ عَلَيْكَ محَبَّتُهُمْ وَمُنَاصَرَتُهُمْ؛ لِأَنَّ اللهَ يحُبُّهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأَحْزَاب: ٥٨].

ثُمَّ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ» التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ مَطْلُوبٌ وَمَأْمُورٌ بِهِ، بِأَنْ تَعْمَلَ الحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ لَيْسَ بِالدَّعْوَى، وَإِنَّمَا هُوَ بِالأَعْمَالِ، فَتَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَا تَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ، فَلَا تَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِالبِدَعِ

وَالخُرَافَاتِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١) أَيْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، فَلَا تَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّـهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا شَرَعَهُ إِيجَابًا أَوْ اسْتِحْبَابًا، إِيجَابًا كَالفُرُوضِ، مِنْ أَداءِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَالزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ بَيْتِ اللَّـهِ الحَرَامِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، هَذِهِ وَاجِبَاتٌ وَفَرَائِضُ، أَوْ اسْتِحْبَابًا مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ: صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَالرَّوَاتِبِ التِي مَعَ الفَرَائِضِ، هَذِهِ نَوَافِلُ لَيْسَتْ وَاجِبَةً إِنَّمَا هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ وَمُكَمِّلَةٌ لِلفَرَائِضِ وَزِيَادَةُ خَيْرٍ، فَلَا يَنْبَغِي للمُسْلِمِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى الفَرَائِضِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّدَ مِنَ النَّوَافِلِ أَيْضًا، فَهَذَا هُوَ وَلِيُّ اللَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الذِي يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، قَالَ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ» دَلَّ عَلَى أَنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ كَمَا أَنَّهُ يَكْرَهُ الأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ، وَاللهُ يُحِبُّ وَيَبْغَضُ وَيَكْرَهُ وَيَسْخَطُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ» هَذَا فِيهِ الحَثُّ عَلَى النَّوَافِلِ، وَأَنْ لَا يَزْهَدَ الإِنْسَانُ فِيهَا؛ لِأَنَّ فِيهَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَالنَّوَافِلُ: جَمْعُ نَافِلَةٍ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ، يَعْنِي: زِيَادَةٌ عَلَى الفَرَائِضِ.

ثُمَّ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: «حَتَّى أُحِبَّهُ» هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ المَحَبَّةِ لِلَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَأَنَّهُ يُحِبُّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَيُحِبُّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تُسَبِّبُ مَحَبَّةَ اللَّـهِ لِلْعَبْدِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٩).

فَأَكْثِرْ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ فَاتَّبِعِ الرَّسُولَ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ [آل عِمْرَان: ٣١].

قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» بِمَعْنَى: أَنَّ اللهَ يُسَدِّدُهُ فِي هَذِهِ الأُمُورِ، فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللهَ، وَلَا يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ إِلَّا مَا يُرْضِي اللهَ، فَيَغُضُّ بَصَرَهُ عَمَّا يُسْخِطُ اللهَ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ، وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الحَوَاسَّ فِي طَاعَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَكَذَلِكَ «وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» فَلَا يَأْخُذُ وَيُعْطِي إِلَّا لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَسْتَعْمِلُ يَدَهُ إِلَّا فِيمَا هُوَ مِنْ طَاعَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، «وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» لَا يَمْشِي إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِي اللهَ، فَيَمْشِي لِلْمَسَاجِدِ، وَيَمْشِي لِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَيَمْشِي إِلَى طَاعَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَمْشِي إِلَى المَسَارِحِ وَالمَلَاعِبِ وَإِلَى أَمْكِنَةِ الفَسَادِ؛ لِأَنَّ خُطُوَاتِهِ تُكْتَبُ عَلَيْهِ، إِذَا مَشَى إِلَى خَيْرٍ تُكْتَبُ خُطُوَاتُهُ لَهُ حَسَنَاتٍ فَيُوَفِّقُهُ اللهُ فِي سَمْعِهِ، وَيُوَفِّقُهُ فِي بَصَرِهِ، وَيُوَفِّقُهُ فِي يَدِهِ، وَيُوَفِّقُهُ فِي رِجْلِهِ، فَلَا يَمْشِي وَلَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي وَلَا يَنْظُرُ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا فِيهِ نَفْعُهُ عِنْدَ اللَّـهِ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا أَنَّهُ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّـهِ بِالفَرَائِضِ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِالنَّوَافِلِ، فَمَنْ أَرَادَ هَذِهِ المزِيَّةَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الفَرائضِ، وَأَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّـهِ بِالنَّوَافِلِ مَا اسْتَطَاعَ، فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ سَهْلَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَعْبَةٌ عَلَى مَنْ حَرَمَهُ اللهُ.

فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ الصَّلَاحَ وَالهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ، وَيَسْتَعِينَ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَكُونَ عَلَى العَكْسِ مُخَالِفًا لِلَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، تَابِعًا لِهَوَاهُ،

تَابِعًا لِشَهْوَةِ نَفْسِهِ، تَابِعًا لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلْيَحْذَرْ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: «وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» تمَامُ الحَدِيثِ يُفَسِّرُ أَوَّلَهُ، فَقَوْلُهُ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» فَآخِرُ الحَدِيثِ يُفَسِّرُ أَوَّلَهُ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ يحِلُّ فِي العَبْدِ وَيَدْخُلُ فِيهِ، كَمَا تَقُولُهُ الحُلُولِيَّةُ وَالبَهَائِيَّةُ قَبَّحَهُمُ اللهُ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ يُسَدِّدُهُ وَيُعِينُهُ وَيُوَفِّقُهُ وَيحَمِيهِ وَيَنْصُرُهُ، هَذَا مَعْنَاهُ.

* * *